

لغاتنا في هذه البلدان ، أكثر مما تهتم بتطورها أو نشر التعليم فيها ، وهذا الشعور تؤكد حتى اليوم الدراسات والمجلات التي تعني بهذا الموضوع .

ان تجارب الشعوب الافريقية مع اللغات الاجنبية اكدت بأن تبني هذه اللغة أو تلك من طرف نخبة قليلة من شعب افريقي لا يعني حصول هذا الشعب على تقدم أو تطور بفضلها ، فالشعب الجزائري ، مثلا ، الذي استمرت عملية فرنسته خلال 132 سنة من الاستعمار ، كان قد وصل أقصى درجة من الفقر والجهل والانحطاط قبل قيام ثورته المعجزة سنة 1954 ، وتجربة الشعوب الافريقية بعد الاستقلال ، سواء منها التي ورثت اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، جعلتها تزداد اقتناعا بأن استعمال هذه اللغات لن يحل مشاكلها ، بل ربما خلق مشاكل جديدة لم تكن في الحسبان ، ولذلك فان الشعور الوطني العام يسير نحو التخلص من هذه اللغات التي اقترن تاريخها بالعبودية والاستغلال الاقتصادي .

ان هذا الاتجاه قد أدركه بذكاء المفتش العام للتعليم في فرنسا طابو « R. Thabault » الذي كان آخر مدير للتعليم في المغرب عندما قال : « .. كيفما كان سبب تبني الافارقة للفرنسية ، سواء كان اختيارا ، أو مجاملة ، أو مصلحة ، أو ضرورة ، فان هذا لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة تكاد تكون مجهولة في فرنسا ، وهي انه مهما كانت الصعوبات وعدم الملاءمة مع المشروعات ، فان الافارقة لهم رغبة جامحة في أن تكون لهم لغة خاصة بهم ، لغة افريقية مشتركة تعوض الفرنسية ، وفي الحقيقة فان التحول الى الاستقلال قلل من حدة هذه المشكلة ، بيد ان الجذور الاحساسية والعاطفية لهذه الرغبة عميقة جدا ، وتوشك المشكلة أن توضع بقوة من جديد في المستقبل » .

ونفس الفكرة عبر عنها بيير بورني (Pierre Burney) بالنسبة لدول المغرب العربي عندما قال : « كيفما كانت الاسباب التي حددت اختيار الفرنسية كلفة ثانية ، سواء التقاليد ، أو السهولة ، أو المصلحة ، أو المجاملة ، فان تعريبا تدريجيا للتعليم سيتم حتما » .

وقد لاحظ نفس الاتجاه في افريقيا الجنوبية الاساتذة لوكرانت ووليامس السابق ذكرهم قائلين : « .. ومع ذلك فانه يلاحظ في افريقيا الجنوبية انه يقع الالحاح بقوة على التعليم باللغة المحلية أكثر من

الانجليزية ، وهذا يعني ان التربية البانتوية (لغة البانتو) لا تعني فقط تلقين مواد ولكن أيضا وجود لغة معبرة » .

وعندما انعقد الملتقى الجامعي الاول حول الوحدة الافريقية بالجزائر في نهاية مارس 1971 ، اكد ما سجله الجميع على البيئة التربوية القائمة في القارة الافريقية المستقلة ، التي تتميز بظاهرة الاستلاب الثقافي ، أو التبعية الثقافية . وهذه التبعية جعلت أغلب المثقفين الافارقة لا يقدرون ثقافتهم الوطنية ، ولا يشعرون بالدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الثقافة ، وانزالهم عن شعورهم لم يكن نتيجة لأفكارهم الجديدة فقط ، بل لانهم أيضا أصبحوا يتحدثون بلغة تختلف عن لغة شعوبهم » .

هذا الموقف الافريقي من اللغات الاجنبية الذي أدركه بوعي وتجربة خبراء اجانب في شؤون التعليم واللغات بافريقيا كالأستاذين طابو وبورني في سنة 1962 ، جاءت اضرابات الطلبة والتلاميذ لتؤكد بقوة في شعاراتها ضد التبعية الثقافية وسيطرة اللغة الفرنسية ، بينما غاب هذا الادراك عن بعض السياسيين والمسؤولين الافارقة أنفسهم .

خـ لـ اـ صـ لـ ة :

ان تعلم اللغات الاجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتعلقة بالقارة الافريقية ، هو مطمح كل متعلم دون جدال ، ووسيلة ضرورية لاغناء الثقافات الوطنية ، وتكوين الاطر العلمية والتقنية الوطنية في سائر المجالات ، وتيسير التبادل العلمي والثقافي مع شعوب العالم المتقدم ، هذه هي الحقيقة الاولى التي لا يجادل فيها احد .

ولكن اسلوب التعليم الذي فرضه الاستعمار الغربي على شعوب القارة ، كان يهدف بالدرجة الاولى الى نشر لغة الدولة المحتلة ، وفرضها كلفة رسمية في الادارة والتعليم ، وقد تبين لهذه الشعوب ، بعد التجربة المرة ، انه اسلوب خطير ، وان أقل اخطاره القضاء على الشخصية الوطنية ، وعلى الثقافة والقيم التاريخية والدينية ، وعرقلة كل تقدم وازدهار حقيقي للشعب ، واخضاعه باستمرار لتبعية الدولة التي يفكر ويتكلم بلغتها ، وهذه هي الحقيقة الثانية التي بدأت هذه الشعوب تدركها .

ومن خلال التجارب الافريقية اتسعت المعرفة، وازداد اليقين بحقيقة علمية ، وهي ان الاطفال الذين يدرسون بلغة اجنبية ، تختلف عن لغة الامومة - وخاصة اصحاب الذكاء العادي وهم الاغلبية الساحقة - لا يتقدمون فى دراساتهم الا ببطء ويشتد هذا البطء اذا فرض عليهم التعلم باللغة الاجنبية ، وباللغة الفصحى الام للغة الامومة ، او بلفتين اجنبيتين عن لغة الامومة وهذه هي الحقيقة الثالثة .

وقد برهنت الحركات التقدمية او الثورية التي تفلطت فى القارة الافريقية على ان دوافعها الاساسية لا تخرج عن النطاق الوطنى الذى يستهدف النمو وتقدم الانسان الافريقي ، وتحريره من كل انواع العبودية

واعتناق بعض الحركات للشيوعية نفسه ليس اجتهادا فكريا متأثرا بالدعاية الاجنبية ، بقدر ما هو عبارة عن رد فعل اجتماعي قوي للتحالف مع اية قوة خارجية ضد الحكم الذى لا يخدم مصالح الشعب ، وما دام هذا الحكم يؤثر عليها مصالح المستعمر السابق ، ويدعم لفته وثقافته على حساب اللغة والثقافة الوطنية ، فان التيار العام ، وخاصة لدى الطبقة المتعلمة - سيزداد اتساعا وعنفا ضد هذه السياسة وضد اصحابها ، وسيعمل على التخلص من هذه اللغات فى التعليم والادارة عاجلا او آجلا ، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي نستخلصها فى النهاية من هذا العرض .

ألقاب الصوفية فى المشرق :

الاولى : المجلس العالى يكتب بها لشيخ الشيوخ بالديار المصرية
وهي المجلس العالى الشيخي الكبيرى العالى العاملى السالكى
الخ ..
المرتبة الثانية : المجلس الساميتى (بالياء)
المرتبة الثالثة : المجلس السامري (بغير ياء)
المرتبة الرابعة : مجلس الشيخ (صبح الاعشى ج 11 ص 85)